

دولة الإمارات العربية المتحدة
جامعة الوصل

مجلة جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

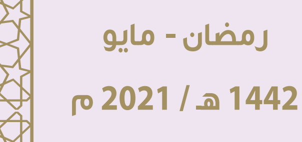
مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

(صدر العدد الأول في 1410 هـ - 1990 م)

العدد الحادي والستون
البريد الإلكتروني: research@alwasl.ac.ae
الموقع الإلكتروني: www.alwasl.ac.ae



61



رمضان - مايو
1442 هـ / 2021 م

عدد خاص
احتفاءً
بمسبار الأمل



مَجَلَّةُ جامعة الوصل

متخصصة في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية محكَّمة - نصف سنويَّة

تأسست سنة ١٩٩٠ م

العدد الحادي والستون

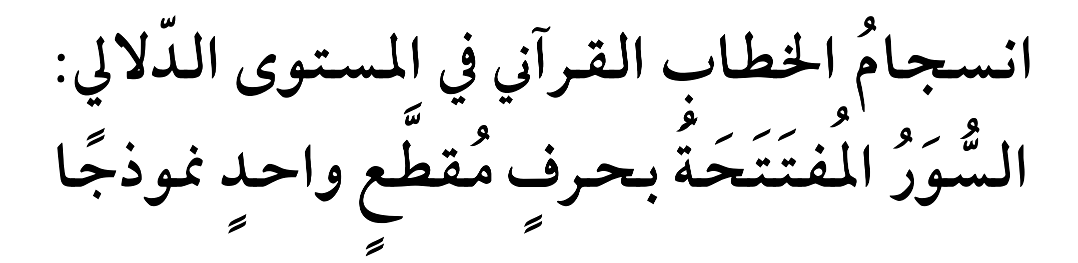
رمضان ١٤٤٢ هـ - مايو ٢٠٢١ م

ردمد: ١٦٠٧-٢٠٩x

المجلة مفهرسة في دليل أولريخ الدولي للدوريات تحت رقم ١٥٧٠١٦

البريد الإلكتروني: awuj@alwasl.ac.ae, research@alwasl.ac.ae

المحتويـــــــــــات



انسجامُ الخطاب القرآني في المستوى الدّلالي: السُّوَرُ المُفتَتَحَةُ بحرفٍ مُقطَّعٍ واحدٍ نموذجًا

The coherence of the Qur’anic discourse at the indicative level: the chapters start with single letter or abbreviated letter

د. نزار جبريل السعودي

د. علي كامل الشريف

جامعة زايد– الإمارات العربية المتحدة

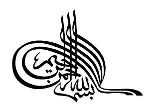
Dr. Nizar Jebril Alseoudi

Dr. Ali Kamel Alsharef

Zayed University, United Arab Emirates

https://doi.org/10.47798/awuj.2021.i61.02





ملخص البحث

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الانسجام الدلالي في السور المفتتَحة بحرف مُقطّع واحد، وهي سورة (ص)، وسورة (ق) . وسورة القلم اعتمادًا على فهم الدلالات الخفية للحروف المقطعة التي افتتحت بها هذه السور الكريمة، حيث يسعى الباحثان لبيان الارتباط الدلالي للحروف الثلاثة (ص/ ق/ ن) التي افتتحت بها هذه السور اعتمادًا على مبادئ الانسجام الدلالي، وهي: السياق، والتغريض، والتأويل المحلي، وترتيب الخطاب والتكرار. وقد توصلت الدراسة إلى أن هناك انسجامًا عجيبًا في دلالة عنوان السورة على ما فيها من معانٍ ودلالات خفية؛ فسورة (ص) جاءت منسجمة في دلالتها على الصبر على الخصومة، ويمكن تأويل حرف (ص) بالصبر، أما سورة (ق) فقد جاءت منسجمة في دلالتها على إثبات يوم القيامة، ويمكن تأويل حرف (ق) بالقيامة، في حين يمثل حرف (ن) في سورة القلم النبوة وإثباتها، وحرف (ن) هو الحرف الأقوى فيها.

الكلمات المفتاحية: انسجام- حرف مقطّع - سياق- تغريض.

Abstract

This study is important to expose the coherence indicative in chapters that begin with a single letter or abbreviated letter such as in chapter Saad, chapter Qaaf and chapter Al-Qalam. This study will try to clarify the connotation of these chapters and the indicative relevance for these three single letters (Saad, Qaaf, Noon) in each chapter relying on the principle of coherence indicative which are the context, the purpose, the local interpretation, the order, and the repetition of the discourse. The study shows that there is an interesting coherence indicative in the abbreviated letter of these chapters with the meaning as well as the hidden indications within each chapter, chapter Saad comes in coherence with its connotation of patience when there is dispute or conflict and the letter Saad is considered to be the strongest letter within the chapter. Chapter Qaaf comes in coherence with its connotation of proving the judgment day and the letter Qaaf is considered to be the strongest letter within this chapter. Chapter Al-Qalam comes in coherence with its connotation of clarifying the prophecy and the letter Noon is considered to be the strongest within this chapter.

Keywords: Harmony - Context - Local Interpretation - the Purpose.



مقدمة

تبتغي هذه الدراسة الكشف عن مواطن الانسجام الدلالي في السور المفتتحة بحرف مقطّع واحد، وهي سورة ص، وسورة ق، وسورة القلم، فقد افتتحت هذه السور الثلاثة بحرف واحد، ويرى الباحثان أنَّ لهذه الحروف الثلاثة معاني، تنبث في ثنايا النص القرآني الخاص بكل سورة، وهذه المعاني هي التي تحدد الانسجام الدلالي لكل سورة على حِدةٍ، ولذلك فإن الوقوف عند معاني الحروف المقطعة في هذا البحث، يكشف عن أثرها في الانسجام الدلالي في هذه السور الكريمة.

أهداف البحث وفرضياته:

ينطلق البحث من عدد من الفرضيات المتصلة بالانسجام الدلالي في السور المفتتحة بحرف مقطع واحد، ويمكن إجمال هذه الفرضيات فيما يلي:

- ثمة مبادئ للانسجام الدلالي متحققة في السور المفتتحة بحرف مقطّع واحد عبر الاتكاء على مبدأ السياق، ومبدأ التغريض، ومبدأ التأويل المحلي، ومبدأ التكرار، ومبدأ ترتيب الخطاب.
- المعنى الذي يدل عليه الانسجام الدلالي للحرف المقطع (ص) الذي اُفتُتِحَتْ به سورة ص هو الصبر على الخصومة.
- المعنى الذي يدل عليه الانسجام الدلالي للحرف المقطع (ق) الذي اُفتتِحَتْ به سورة قاف هو إثبات يوم القيامة.
- المعنى الذي يدل عليه الانسجام الدلالي للحرف المقطع (ن) الذي اُفتتحت به سورة القلم هو إثبات نبوة النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

- ثمة علاقة بين الحرف المقطع المبدوء به في السورة والمعاني الدلالية الأخرى المبثوثة في ثنايا السورة الكريمة، وإن اختياره لم يكن صدفة بل لغاية إلهية جليلة.

أسئلة الدراسة: تكمن مشكلة الدراسة في الأسئلة الآتية:

- ما مبادئ الانسجام الدلالي المتحققة في السور المفتتحة بحرف مقطّع واحد؟
- ما المعنى الذي يدل عليه الحرف المقطع (ص) الذي اُفتُتِحَتْ به سورة ص؟
- ما المعنى الذي يدل عليه الحرف المقطع (ق) الذي اُفتتِحَتْ به سورة قاف؟
- ما المعنى الذي يدل عليه الحرف المقطع (ن) الذي اُفتتحت به سورة القلم؟
- هل حقّقت الحروف المقطعة (صاد - نون - قاف) التي اُفتتحت بها السور القرآنية الكريمة - سورة صاد وسورة قاف وسورة القلم- انسجاما دلاليا بيّنًا في مباني تلك السور ومعانيها؟

الدراسات السّابقة:

يحتوي هذا الجزء الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث، وسيتم عرضها مرتبة زمنيًا من الأحدث إلى الأقدم:

١- الحروف المقطّعة في القرآن الكريم - دراسة تفسيريّة - (ألم) أنموذجًا، للدكتور: إحسان طه ياسين، بحث منشور في مجلة جامعة تكريت للعلوم، المجلد (١٩)، العدد (٢٤)، ٢٠١٢. تناول الباحث في هذه الدراسة عرضًا للتأويلات المشهورة في معنى المراد من الحروف المقطعة الواردة في افتتاح السور القرآنية المباركة؛ فوجد في بعضها ما هو بعيد تجاوز حدّ القبول، وفي بعضها الآخر ما لم يكن كذلك، فكان ضمن حدّ القبول، وقدم ياسين بدوره ما يمكن الإجابة عليه مع الترجيح.

٢- الحروف المقطعة في أوائل السّور. للباحث: فضل عباس صالح أبو عيسى، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح، نابلس، ٢٠٠٤. هدف الباحث في دراسته إلى التعريف بالحروف المقطعة في أوائل السّور، وتوصل إلى أن هذه الحروف المقطعة لها اتصال بالتناسق العددي، وليس لها علاقة بحساب الجمّل المعروف عند اليهود. وأنّ للعلماء فيها آراء أرجحها أنها لبيان إعجاز القرآن الكريم، وأنها دالة على إثبات النبوة وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣- وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة في القرآن الكريم، تأليف فهد بن عبد الرحمن بن سلمان الرومي، التوبة، السعودية، ١٩٩٧. وفيها جمع الباحث أقوال العلماء في بيان وجوه التحدي والإعجاز في الأحرف المقطعة ومناقشتها، وبيان صحيحها من ضعيفها؛ إذ إن هذه الأقوال منها ما هو قريب معقول، ومنها ما هو بعيد متكلف، ومنها ما هو مردود ومرفوض.

استفادت الدراسة الحالية من الدِّراسات السَّابقة من الإطار النّظري الذي احتوته تلك الدِّراسات، لتحديد الإطار النظري للدِّراسة الحالية.

تميزت هذه الدراسة بأنها:

أولًا: تبنت منهجية التحليل القائمة على تحليل الخطاب في مستواه الدلالي؛ إذ لم يعالج أي باحث من الباحثين السابقين السور الثلاثة بالتحليل الذي اخترناه.

ثانيًا: تحدثت الدراسات السابقة عن آراء العلماء قديمًا في معاني الحروف المقطعة بشكل عام، وليست بالرؤية الجديدة التي يراعيها هذا البحث.

ثالثًا: تختلف النتائج التي توصل لها الباحثان في هذا البحث عن الدراسات السابقة.

منهجية البحث:

تقوم منهجية البحث على ركنين أساسين أولاهما: المنهج الوصفي القائم على تقصّي ما في السور القرآنية المدروسة من مبادئ الانسجام الدلالي، وتعقّب دلالات ذلك الانسجام، أما الركن الثاني الذي تنبني عليه منهجية البحث، فهو تحليل الخطاب ولسانيات النص، فلسانيات النص ركن أصيل في فهم انسجام النصوص وتماسكها، فالانسجام يعد من أهم القضايا التي طرحتها لسانيات النص وخاصة لسانيات ما بعد الجملة، وقد كان لتفعيل هذا المنهج الدور الأكبر في إيضاح مدى امتلاك النص القرآني للأسس النصية.

خطة البحث:

تطلبت خطة البحث أن يتشكل في مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة، وفقا للآتي:

مقدمة: أهداف البحث وفرضياته، ومشكلة الدراسة، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث وخطته ومصادره.

المطلب الأول: الانسجام الدلالي ومبادئه.

المطلب الثاني: الانسجام الدلالي في سورة (ص).

المطلب الثالث: الانسجام الدلالي في سورة (ق).

المطلب الرابع: الانسجام الدلالي في سورة القلم.

الخاتمة: فيها أهم النتائج.

أهم مصادر البحث:

حاول البحث الاتكاء كثيرًا على الطروحات النقدية التي عالجها الباحث محمد خطابي في كتابه: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، والصادر

عن المركز الثقافي العربي ببيروت عام ١٩٩١، حيث قدّم فيه جميع الطروحات النقدية لتحليل الخطاب ولسانيات النص، كما أبرز فيه خلاصة ما قيل في انسجام النص واتساقه قديمًا وحديثًا عربيًّا وغربيًّا، كما اتبع تأصيله النظري بتحليل تطبيقي موسع وشامل لقصيدة «فارس الكلمات الغريبة» للشاعر العربي أدونيس، ويوازي هذا المصدر في قيمته العلمية البحثُ الموسع الذي قام به الأزهر زناد والموسوم بعنوان: نسيج النص بحثٌ فيما يكون به الملفوظ نصًا، حيث طبّق كثيرًا من مقولات انسجام النص واتساق من ناحية بلاغية نحوية. ولا يمكن إغفال أهم المصادر الأجنبية التي أصلت للسانيات النص وانسجامه وهو كتاب: النص والسياق لمؤلفه (فان ديك) الذي يعد المرجع الأساس في موضوع تحليل الخطاب.

المطلب الأول: الانسجام الدلالي ومبادئه:

إنّ دراسة الانسجام في النصوص الأدبية لم يكن غريبًا على الدرس النقدي العربي القديم، إلا أن الجهد فيها كان منصبًا على المستوى النحوي أو التركيبي، وقد برزت بدايات الاهتمام العربي بقضية الانسجام لدى ابن قتيبة في كتابة «تأويل مشكل القرآن» الذي ألفه ليرد فيه على الملاحدة المشككين بالقرآن الكريم، والذين ادّعوا وجود اللحن في القرآن،وقالوا بتناقض آياته واختلافها[١]، وقد وصلت قضية الانسجام إلى مستوى متقدم في كتابات البلاغي حازم القرطاجني الذي اهتم ببيان الانسجام في النصوص التامة[٢]، حيث استطاع وضع مجموعة من المصطلحات الدقيقة التي تنم عن رغبته الضمنية في وضع تحليل نصي جديد مخالف لما هو موجود في عصره، ومن هذه المصطلحات نذكر: المطلع، والمقطع، والفصول، والاطراد في تسويم رؤوس الفصول.

١- انظر: أبو عبد الله محمد بن مسلم بن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط٣، ١٩٧١، ٢٣.

٢- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٢، ٣٤١

تعددت تعريفات الانسجام بين القديم والحديث، وذلك بسبب الخلط والمزج الذي أظهره بعض الدارسين بين المفهومين؛ إذ يتصل مفهوم الانسجام اتصالا وثيقًا بمصطلح الاتساق، وقد ظهر هذان المفهومان لدى النقاد العرب قديما بلفظين مختلفين هما: الحبك والسبك، واستمر استعمالهما حتى الوقت الراهن، فقد استخدم مصطلح الانسجام رديفا لمصطلح الحبك، كما اُستخدم مصطلح الاتساق رديفًا لمصطلح السبك، وما يهمنا في هذا الدراسة هو مفهوم الانسجام / الحبك، غير أنه يظل لزامًا التعريف سريعًا بمفهوم الاتساق / السبك.

يُقصد بالاتساق: التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص / خطاب ما، ويُهْتَمُّ فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية)، التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب[١]، وبهذا يظهر أن الاتساق / السبك يهتم بالشكل الخارجي للنص، أما الانسجام فهو اتصال المعلومات في الجمل والمنطوقات ببعضها بعضا، اتصالا لا يشعر فيه المستمعون أو القرّاء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات، فالانسجام هو تنظيم مضمون النص تنظيمًا دلاليًّا منطقيًّا بحيث تتسلسل المعاني والمفاهيم والقضايا على نحو منطقي مترابط[٢]، وتبعًا لذلك يعد الانسجام ذا طبيعة دلالية تجريدية، تظهر من خلال علاقات وتصورات تعكسها الكلمات والجمل أيضًا، إلا أنها تحتاج إلى قدرة معينة على استخراجها ووصفها»[٣] أي أن الانسجام مهتم بالمعاني الداخلية الخفية في النص؛ إذ يقوم على أساس الترابط الدلالي بين العناصر اللغوية، متجاوزًا معطيات النص الظاهرية الشكلية، وبذلك يمكن القول: إن الانسجام أشمل من الاتساق؛ ذلك أنه يعاين الترابط الدلالي للنص من جهة،

١- خطابي، محمد: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٩١، ٥.

٢- العبد، محمد: حبك النص منظورات من التراث الغربي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٥٩، ٢٠٠٢، ٥٤- ٩٦، ٥٥.

٣- بحيري، سعيد حسن: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٧، ١٢٢ وما بعدها.

ويتعاطى مع خفاياه من جهة أخرى.

وستفيد الدراسة من بعض مبادئ الانسجام، التي سيطبقها الباحث لاحقًا على النصوص القرآنية المختارة، وهذه المبادئ هي:

المبدأ الأول: السياق:

اهتم العلماء العرب بالسياق منذ القدم، وأكدوا على دوره البارز في انسجام النص عبر مقولتهم الشهيرة: «لكل مقام مقال»، فقد أشار (المبرد) إلى أن اللفظة المفردة وحدها لا تفيد معنى مكتملا، وإنما يتحقق معناها باقترانها بغيرها ليتحقق بذلك المعنى السياقي[1].

إن الخطاب المتسم بالانسجام هو الخطاب القابل لأن يُوضع في سياقه «إذ كثيرا ما يكون المتلقي أمام خطاب بسيط للغاية، من حيث لغته، ولكنه قد يتضمن قرائن (ضمائر أو ظرفا) تجعله غامضًا غير مفهوم بدون الإحاطة بسياقه»[2].

وللسياق بحسب نموذج جاكبسون عناصر أساسية هي: المرسِل والمتلقي والرسالة والزمان والمكان، فلو أوردنا خطابًا تكثر فيه الأدوات الإشارية من مثل: هنا،والآن، وأنا وهذا وذاك، لصعب علينا فهم الخطاب دون معرفة هوية المتكلم، والمتلقي، والإطار الزمني، والمكاني للحدث اللغوي[3]، وثمة عناصر أخرى للسياق يؤدي فهمها إلى انسجام الخطاب، وهي: الحضور: وهم مستمعون حاضرون يُسهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي، والقناة: وهي كيفية التواصل بين المشاركين في الحدث الخطابي بالكلام أم بالإشارة أم

١- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق محمد عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤، ٤ / ١٢٦.
٢- خطابي، محمد، لسانيات النص، ٥٦.
٣- براون ويول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية،١٩٩٧، ٣٥.

بالكتابة، كذلك من بين العناصر الأخرى المشكّلة للسياق شكلُ الرسالة، إضافة إلى العلاقات الفيزيائية بين المرسِل والمتلقي، بالنظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه[١].

والسياق كما يراه (فيرث) نوعان: سياق مقالي (verbal context)، وسياق مقامي (context of situation)، وفي السياق المقالي يتحدد معنى الكلمة بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية، أما في السياق المقامي فتبرز أوجه التغيّر الذي يصيب المدلولات، باختلاف المواقف التي تستخدم فيها الكلمات[٢]. وحتى يؤتي فهم السياق أُكُلَه في تحقيق انسجام الخطاب، لا بد من التفاعل المثمر بين النص والقارئ «ذلك أن التحليل ينتج نصًا، لا يحتوي على فقط على المميزات الموضوعية للنص والسياق، بل يحتوي على مميزات تنسبها الذات المحللة (القارئ) بشكل تفاعلي إلى النص أو السياق»[٣].

المبدأ الثاني: التغريض وموضوع الخطاب:

اهتم المفسرون المسلمون بالتغريض كثيرًا، كما أولوا الجملة الأولى أهمية خاصة، حيث أكدوا على أنه مفتاح أساس لفهم بقية الجمل، وهذا ما قال به المفسر الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب» والذي رأى أن سورة الفاتحة تمثل مفتاحًا لبقية السور القرآنية التي تأتي بعدها، وشبهها بأصل السور كلها، وأن ما بعدها جداول تنبع منها[٤]، ويبدو أن ثمة مصطلحات كثيرة أطلقها العلماء الدارسون على مبدأ التغريض، وجد الباحثان أن أشهر ثلاثة تراكيب هي: (التغريض وموضوع

١- انظر: براون ويول، تحليل الخطاب، ٣٨.

٢- الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ٢٠٠١، ٧٠.

٣- قواوة، الطيب العزالي: الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد ٨، ٢٠١٢، ٦١- ٨٦، ٦٧.

٤- الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب، دار الغد العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩١، ١ / ٢٢٧.

الخطاب والبنية الكلية) وهي تشترك في دلالتها على موضوع الخطاب الذي يرى الباحثان أنه التركيب الأقرب للصواب، ولذلك جمع الباحثان بينها لاشتراكها في دلالة واحدة.

إن من أهم الدلائل التي تشير إلى موضوع الخطاب وبنيته الكلية العنوان، فهو يوازي العتبات النصية في العمل الإبداعي كالاستهلال والبداية وغيره، فالعنوان شفرة دالة على موضوع الخطاب، لما فيه من الدلالات الإيحائية، كما أنه أول ما يتوقف عنده القارئ الناقد، فهو «علامة سيميوطيقية تقوم بوظيفة الاحتواء لمدلول النص»[1]، وهو أشبه بالرأس للجسد، والنص تمطيط له بالزيادة أو الحذف أو الاستبدال؛ ولذلك يقدم العنوان معرفة كبرى لضبط انسجام النص وفهم ما غمض منه؛ إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى، ويعيد إنتاج نفسه، غير أنه لا يمكن التسليم بهذا الرأي تسليما تاما؛ وذلك أن على الناقد القارئ أن يكون حذرا؛ لأن العنوان يتحكم بقوة في تأويل المتلقي، فالمتلقي يكيّف تأويله مع العنوان دائما، ولذلك لا بد من مراجعة الخطاب بعمق أكثر مع إيلاء العنوان اهتمامًا كبيرًا، ولعل هذا ما دعا (براون ويول) إلى عدم اعتماد العنوان موضوعًا للخطاب، فهو برأيهما أحد التعبيرات الممكنة عن موضوع الخطاب، «ووظيفة العنوان هو أنه وسيلة خاصة قوية للتغريض»[2].

أولى النقاد أيضا الجملة الأولى في الخطاب أهمية خاصة؛ إذ هي جملة مفتاحية يرتكز عليها النص برمته، وهي إحدى الأمارات الدالة على موضوع الخطاب، «فالجملة الأولى في أي نص تمثل مَعْلَما يقوم عليه اللاحق ومنها يعود، وداخل تلك الجملة نفسها يمثل اللفظ الأول مَعْلَما تقوم عليه سائر مكوناتها، فالمسند

١- حمداوي، جميل: السيميوطيقا والعنونة، عالم المعرفة، الكويت، المجلد ٢٥، العدد ٣، ١٩٩٧، ٧٩-١١٢، ص ٩٨.
٢- خطابي، محمد، لسانيات النص، ٦٠.

يقتضي المسند إليه، وهذا الأخير يقتضي الأول، وهما معا متممات، فهذه حلقة أولى تنتهي دون أن تنغلق على نفسها، فهي مستقلة من حيث التراكيب، ولكنها منطلق في كل شيء لما يأتي بعدها»[١]، وهذا ما أكده (فان ديك) في كتابه النص والسياق، حيث ذكر أن ثمة ارتباطًا بين البنية الكبرى في النص مع البنية الصغرى، بواسطة مجموعة رسوم تطبيقية نموذجية متناظرة (mapping)، كما أنه أفاد بأن الجلمة الأخيرة في الخطاب قد تؤدي الدلالة ذاتها، التي تؤديها الجملة الأولى من اختزال للبنى الصغرى المسكوبة في النص، يقول: «إن القضايا الكبرى يعَبَّر عنها أحيانا تعبيرًا مباشرًا، أعني ما ندعوه بالجملة الواقعة موضوعا في بداية المقطع أو آخره في غالب الأحول»[٢].

ولا تقتصر أمارات موضوع الخطاب وغرضه على العنوان وعلى الجملة الأولى والأخيرة فحسب، بل إنها تتسع لتشمل البنى اللغوية الدالة على وجود البنية الكبرى، من مثل الروابط المشكلة للمقاطع الخطابية، إضافة إلى الإحالة التي تعبر عنها الضمائر، وأسماء الإشارة المحيلة إلى الأشخاص والأماكن، والتطابق الزمني والمكاني، وتطابق الصيغ[٣].

وينضاف للأمارات المذكورة بعض العمليات التي يقوم بها القارئ لبناء موضوع الخطاب، ومن أهم هذه العمليات عملية الحذف، أي حذف القضايا غير المرتبطة بقضايا لاحقة، وحذف المعلومات العامة المكونة لإطار أو مفهوم ما، وتعين عملية الحذف على «اختزال المعلومات الواردة في الخطاب، وتحديد ما هو هام نسبيا في المقطع »[٤]، ثم بيان المعلومات الأساسية التي تبرز موضوع الخطاب.

١- زناد، الأزهر: نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣، ٦٧.

٢- ديك، فان: النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠، ٢٠٨.

٣- انظر لسانيات النص لمحمد خطابي، ٤٦.

٤- خطابي، محمد، لسانيات النص،٤٥.

المبدأ الثالث: التأويل المحلي:

إن مبدأ التأويل المحلي ليس بغريب على الثقافة العربية، فقد عرفه العرب قديما، وقد عرّفه ابن الأثير بقوله: «نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما تُرِكَ ظاهر اللفظ»[1]، وقد تباينت العبارات التي أطلقها النقاد على مبدأ التأويل المحلي، فقد أطلق عليها (بروان ويول) مبدأ الفهم المحلي، كما أطلق عليها (غرايس) مبدأ التوقع الطبيعي، في حين أطلق عليها (مينسكي) نظرية الأطر، وخلاصة القول في هذا المبدأ أن المتلقي مدعو إلى عدم إنشاء سياق يفوق ما يحتاج إليه للوصول إلى فهم معين لقول ما، وهكذا إذا سمع شخص ما أحدا يأمره «أغلق الباب» فإنه سينظر إلى أقرب باب يحتاج إلى إغلاقه[2]، فمبدأ التأويل المحلي ينطلق من افتراض مفاده أن المتكلم ينطلق من أرضية مشتركة، مسلّم بها لدى كل الأطراف، نظرا لأن مبدأ التناسب هو ما يحكم مبدأ التأويل المحلي، أي أنْ يظل المتكلم يتحدث عن المكان والزمان نفسه، وعن ذات الأطراف المشاركين وعن الموضوع عينه، بما لا يدع مجالا للشك في حدوث تغيير في السياق.

المبدأ الرابع: ترتيب الخطاب وأزمنته:

اهتم العلماء العرب القدماء والمفسرون بترتيب الخطاب القرآن، وقد أطلقوا على أسرار ترتيب القرآن الكريم «علم المناسبات»، حيث قال الفخر الرازي: «من تَأَمَّلَ في لطائف نظم السور وبديع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه، وشرف معانيه، فهو أيضًا بسبب ترتيبه ونظم آياته، ولعل الذين قالوا: إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك، إلا إني رأيت جمهور المفسرين

١- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب لابن منظور، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٢٢، ١١ / ٣٢.

٢- بروان ويول، تحليل الخطاب، ٧١.

مُعرِضينَ عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار»[1]. ومما لا شك فيه أن للعلاقات الناظمة لنص ما دورًا كبيرًا في انسجامه، فالترتيب الطبيعي للأحوال الموصوفة لا ينبني فقط على ضوابط توزيع المعلومات القائمة على الاقتضاء، «وإنما يتأسس على مبادئ معرفية عامة كالإدراك والانتباه، ذلك أننا عادة ما ندرك الموضوع ككل قبل إدراك أجزائه، كما ندرك شيئًا كبيرًا قبل إدراكه صغيرًا في محيطه المجاور»[2].

وثمة ضوابط لتحديد الترتيب الطبيعي، لخّصها (فان ديك) بما يلي:

أ- عام - خاص (عموم - خصوص)

ب- كل - جزء - مركب (إجمال- تفصيل)

ج- مجموعة - فئة - عنصر

د- المتضمِن- المتضمَن

هـ- كبير- صغير

و- خارج - داخل

ز المالك - المملوك

وقد أضاف (دبوجراند) بعض العناصر المنطقية كالسببية[3].

١- السيوطي، الحافظ جلال الدين: تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ط١، ٢١ ومابعدها.

٢- فان ديك، النص والسياق، ١٥٤.

٣- العبد، محمد، حبك النص، ٥٦.

ويبدو أن علاقتي الإجمال والتفصيل والعموم والخصوص قد حظيتا باهتمام كبير لدى الدراسين، فعلاقة الإجمال والتفصيل تعد من أبرز العلاقات الدلالية التي ركز عليها علماء النص؛ لكونها «تضمن اتصال المقاطع النصية ببعضها بعضًا، بفضل ما تمنحه هذه العلاقات من استمرارية دلالية بين مقاطع النص»[1]، وأما علاقة العموم والخصوص فلها دور في بيان ترتيب الخطاب وانسجامه، فهذه العلاقة تمكّن الناقد من تتبع النص بدءًا من العنوان الذي يأتي بصيغة العموم، في حين يكون بقية النص تخصيصا له.

كذلك اهتم العلماء ببيان أثر الزمن في انسجام الخطاب وترتيبه، وقد صُنّف الزمن ضمن محاور ثلاثة، هي: «زمن الواقعة في النص، والزمن الذي قيل فيه النص، والزمن المرجعي أي زمن الحادثة من خلال مقارنته بزمن إنتاج النص»[2].

المبدأ الخامس: التكرار:

يقصد بالتكرار إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف، وذلك لتحقيق أغراض كثيرة، أهمها التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة[3]، وعلى الرغم من أن (هاليداي ورقية حسن) قد عدّاه من عناصر اتساق النص، أي إحدى العناصر المشكلة للتماسك الشكلي للنص، فإنّ غيرهما من النقاد قد عدّوه ضمن عناصر الانسجام النصي، لما يحققه التكرار من دور بالغ الأهمية على صعيد البنية الدلالية الانسجامية للنصوص، وهذا ما يراه الباحثان، فالتكرار يمكن أن يكون من أدوات الاتساق، كما يمكن أن يكون من أدوات الانسجام أيضًا، «فهو يمكن من توصيل الرؤية التي يحملها النص؛ لأنه يربط الماضي النصي بلاحقه أو العكس، وهو بهذا يحاول أن يقضي على التشتت

١- قواوة، الطيب العزالي، الانسجام النصي وأدواته، ٧٨.
٢- قواوة، الطيب العزالي، الانسجام النصي وأدواته، ٧٧.
٣- الفقي، صبحي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠، ٢ / ٢٠.

النصي»[١]، كما أنه يحقق الانسجام النصي بامتداد عنصر ما منذ بداية النص حتى آخره، «وهذا الامتداد قد يربط بين عناصر هذا النص بالتأكيد مع مساعدة عوامل التماسك النصي الأخرى»[٢].

انسجام الدلالة في السور المفتتحة بحرف مُقَطَّعٍ واحد:

إن البحث في معاني الأحرف المقطعة يظل من باب الاجتهاد، فهذه «الأحرف لم يثبت تفسير شيء منها عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأن هذه الأسلوب في الفواتح لم يكن معروفًا عند العرب وقت نزول القرآن، وأن أقوال العلماء فيه لا تستند إلى دليل من الكتاب، ولا من السنة، وليس لها شاهد صحيح في لغة العرب، وأنه لا يصح أبدًا أن يجزم أحد بمعناها»[٣]، ولذلك تباينت أقوال المفسرين في معانيها، فقال قوم: «افتتاح للسور، وقال قوم: هي حروف مقطعة من حروف المعجم ذكرت لتدل أن هذا القرآن من هذه الحروف المقطعة، وهي حروف أ ب ت ث، فجاء بعضها مقطعا، وجاء تمامها ليدلا القوم الذين نزل عليهم القرآن أنه بحروفهم التي يعقلونها لا ريب فيه... وقال بعضهم: هي أسماء للسور، تعرف كل سورة بما افتتحت به منها»[٤]، ويمكن حصر الأقوال الواردة بها فيها بما يلي:

١- عبابنة، يحيى والزعبي، آمنة: عناصر الاتساق والانسجام النصي قراءة نصية تحليلية في قصيدة «أغنية لشهر أيار» لأحمد عبد المعطي حجازي، مجلة جامعة دمشق، جامعة دمشق، مجلد ٢٩، عدد ١+٢، ٢٠١٣، ٥٠٧- ٥٤٩، ص٥٤٠.

٢- الفقي، صبحي، علم اللغة النصي، ٢ / ٢٢.

٣- الرومي، فهد: وجوه التحدي والاعجاز في الأحرف المقطعة في أوائل السور، مكتبة التوبة،الرياض، ط١، ١٩٩٧، ٥٢.

٤- العوتبي، سلمة بن مسلم: كتاب الإبانة في اللغة العربية، تحقيق عبد الكريم خليفة ونصرت عبد الرحمن وصلاح جرار ومحمد عواد وجاسر أبو صفية، مطابع مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، عمان، ط١، ١٩٩٩، ١ / ٣٢١.

أولا: الحروف المقطعة من المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله تعالى[١].

ثانيا: الحروف المقطعة جاءت لبيان إعجاز القرآن[٢].

ثالثا: الحروف المقطعة جاء للدلالة على إثبات النبوة وصدق الرسول صلى الله عليه وسلم[٣].

رابعا: الحروف المقطعة أسماء للسور[٤].

خامسا: الحروف المقطعة قسم من الله تعالى[٥].

سادسا: الحروف المقطعة من أسماء الله تعالى[٦].

سابعا: الحروف المقطعة جاء لاستئناف كلام جديد[٧].

ثامنا: الحروف المقطعة جاءت لتثير استغراب الكفار حينما يستمعون للقرآن[٨].

١- انظر: أبو حيان، محمد بن يوسف: البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢، ١ / ٦٠.

٢- انظر: الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٤، ٦٨ / ٦٩.

٣- انظر: الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به خليل محمود شيحة، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩، ٩٩ / ١٠٠.

٤- انظر: الرازي، محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥، ٢ / ٧.

٥- انظر: الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، معاني القرآن، تحقيق د. فائز مسعد، دار البشير، ط٣، ١٩٨١، ١ / ٢٠.

٦- انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٧٨، ١ / ١٥٥.

٧- انظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي: مجاز القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١، ١ / ٢٨.

٨- الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨، ١ / ٢٣٠.

والباحثان يريان أن الحروف المقطعة التي اُفتُتِحتْ بها هذه السور قد جاءت لدلالة خفية، وأن السور بمجملها ترتكز على هذه الحروف المقطعة في دلالتها العامة والتفصيلية؛ إذ تشكل الحروف المقطعة المُفتَتَحُ بها أساسًا أصيلاً ثابتًا في مبنى السورة ومعناها، مشكّلة بذلك انسجاما دلاليًّا عميقًا للسورة، فما هي المعاني الخفية التي شكّلت الانسجام الدلالي لهذه السور الثلاث اعتمادا على الحروف المقطعة التي اُفتتحت بها؟

هذا ما سيوضحه الباحثان في القادم من هذه الدراسة.

المطلب الثاني: الانسجام الدلالي في سورة (ص):

إن النص القرآني معجز في انسجامه وترتيبه ودلالاته؛ إذ هو كتاب محكم التنزيل من لدن حكيم خبير، وهذا ما أبرزه عبد القاهر الجرجاني في حديثه عن النظم، الذي هو سر من أسرار القرآن الكريم، يقول الجرجاني: «واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علمًا لا يعترضه الشك أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يُعلَّق بعضها ببعض، ويُبنَى بعضها على بعض، وتُجعَل هذه بسبب من تلك»[١]، ولعل تعليق الآيات القرآنية وانبناء بعضها على بعض ما يؤكد الانسجام الدلالي في النص القرآني.

يرى الباحثان أن سورة (ص) تتحدث في موضوعها عن الصبر على خصام الكافرين؛ إذ يقابل الحرف المقطع (ص) كلمة الصبر من خلال حرف الصاد، الذي يُشكّل أساسًا لمفتتح السورة وكلمة الصبر، ولعل عنوان السورة هو ما يحدد غرضها وموضوع خطابها، وبنيتها الكلية، فالعنوان يمثّل «المسند إليه أو الموضوع العام، وتكون كل الأفكار الواردة في الخطاب مسندات له»[٢]، وبهذا

١- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ٥٥.

٢- حمداوي، جميل، السيميوطيقا والعنونة، ٩٨.

يقدم لنا العنوان معرفة جيدة لفهم انسجام النص؛ إذ هو يعيد إنتاج نفسه، فيتوالد ويتنامى عبر النص، ولعل الآيتين الأوليين تدلان على المعنى الذي يراه الباحثان، يقول الله تعالى: ﴿ صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴾[1]، فالقرآن ذكرى للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم- يذكّره بقصص صبر الأنبياء قبله، فقد اُبتلي – صلى الله عليه وسلم- كما اُبتلي الأنبياء قبله بإنكار رسالته، وأنه ساحر، وتمثّل ذلك في قول الله في الآيات بعد الآيتين الكريمتين مخبرا عن صورة هذا الإنكار:

الأولى قول الله تعالى: ﴿ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[2]، أما الثانية ففي قوله تعالى: ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ۝٧ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴾[3].

فالسورة في دلالتها العامة دعوة للنبي – صلى الله عليه وسلم- للصبر على خصام المشركين له، واتهاماتهم الباطلة وإنكارهم للرسالة السماوية، وهذه الدعوة للصبر جاءت عبر تذكير النبي بقصص الصبر، التي تمثلت في القصص التالية:

١- قصة صبر سيدنا دواد – عليه السلام- حينما فُتنَ في القضاء. (الآية ١٧- الآية ٢٦).

٢- قصة صبر سيدنا سليمان – عليه السلام- حينما فُتنَ عن ذكر الله. (الآية ٣٠- الآية ٤٠).

١- القرآن الكريم، سورة ص، ١-٢
٢- القرآن الكريم، سورة ص، ٤-٥
٣- القرآن الكريم، سورة ص، ٧-٨

٣- قصة صبر سيدنا أيوب - عليه السلام- حينما فُتِنَ في جسده بالمرض. (الآية ٤١- الآية ٤٤).

٤- قصة صبر الأنبياء أولي العزم وغيرهم، وهم: إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع و ذو الكفل. (الآية ٤٥- الآية ٤٨).

٥- قصة صبر الخالق عز وجل على استكبار إبليس وخصومته له. (الآية ٦٩- الآية ٨٥).

أما الخصومة وتبعاتها، فقد جاءت في بعضها متداخلة مع قصص الصبر، التي ورد ذكرها آنفا، وهي:

١- اختصام المشركين حول نبوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- (آية ٤- آية ٨).

٢- العقوبة للمتخاصمين في وحدانية الله، وهم قوم نوح وفرعون وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة. (آية ١٢- آية ١٦).

٣- اختصام الأخوين لدى سيدنا داود - عليه السلام- وظلم أحدهما للآخر. (آية ١٧- آية ٢٦).

٤- تكرار ذكر العقوبة للمتخاصمين المنكرين وحدانية الله بأن لهم نار جهنم. (آية ٥٥- آية ٦٦).

٥- اختصام إبليس ورفضه أوامر الله عز وجل بالسجود لآدم- عليه السلام. (آية ٦٩- آية ٨٥).

وهذا التحليل السابق يحيلنا إلى بيان السياق وأركانه، لتتضح دلالة هذه السورة الكريمة، فالمرسل هو الخالق عز وجل، أما المرسل إليه فهو النبي محمد -

صلى الله عليه وسلم- والبشر كافة، أما الرسالة فهي دعوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- للتحلي بالصبر: ﴿اَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ «اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ»[1] على إنكار المشركين لوحدانية الخالق، ومواساة للنبي - صلى الله عليه وسلم- بذكر قصص الأنبياء والصابرين قبله: ﴿اَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[2]، وبيان أن كل متخاصم مشكك بوحدانية الله تعالى ستكون جهنم مصيره.

ومن الأدلة المقوية التي تدعم موضوع الخطاب وفهم سياقه تكرارُ الخالق عز وجل في هذه السورة للألفاظ الدالة على الخصام، وهي:

١- شقاق: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ آية ٢.

٢- اختلاق: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ آية ٧.

٣- شكّ: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾ آية ٨.

٤- الخصم: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ آية ٢١.

٥- تخاصم: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ آية ٦٤.

٦- يختصمون: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ آية ٦٩.

٧- استكبر: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَٰفِرِينَ﴾ آية ٧٤.

٨- عبارات الخصام: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ آية ٧٦. ﴿عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ﴾ آية ٧٨.

٩- أغوينهم ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ آية ٨٣.

١- القرآن الكريم، سورة ص، ١٧

٢- القرآن الكريم، سورة ص، ١٧

فيما يتصل بترتيب الخطاب وزمنه، فقد ظهر للباحثين النسق المعجز في ترتيب الخطاب، وزمن إيراد كل حادثة داخل النص القرآني، بما يحقق الانسجام الدلالي تحقيقًا دالا بيِّنًا؛ فقد رُتِبَت الوقائع في النص ترتيبًا معجزًا؛ إذ جاء ذكر الوقائع في النص القرآني، ثم النتيجة الإلهية لتلك الواقعة، وقد جاءت تلك الوقائع في دوائر ثلاث، هي:

- **الدائرة الأولى**: خصام الكافرين، وإنكار وحدانية الخالق، حيث افتتح الخالق الخطابَ في هذه الدائرة بالحديث عن خصومة الكافرين لنبوة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾[1]، وقد امتد الحديث في ذلك عن خصومة الأقوام لأنبيائهم من قبل، وقد برز ذلك في الآيات الكريمة تمامًا، ثم تلا الحديث عن هذه الخصومة حديث عن النتيجة مباشرة، إذ يقول الله تعالى: ﴿ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴾[2].

- **الدائرة الثانية**: صبر الأنبياء السابقين على خصومة الكافرين لهم؛ إذ ذكر الله سبحانه قصة صبر سيدنا داود وسليمان وأيوب وإبراهيم وإسحق وإسماعيل واليسع وذي الكفل، وقد جاء ذلك في الآيات الكريمة من الآية السابعة عشرة حتى الآية الثامنة والأربعين، ثم ذكر بعدها نتيجة هذا الصبر وهي جنات الرحمن، يقول تعالى: ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴾[3]، وفي ذلك دعوة صريحة للنبي الكريم بالصبر على خصام الكافرين له، وإنكارهم لوحدانية الخالق.

١- القرآن الكريم، سورة ص، ٥
٢- القرآن الكريم، سورة ص، ١٤-١٦
٣- القرآن الكريم، سورة ص، ٤٩-٥٣

- **الدائرة الثالثة**: خصام إبليس للخالق عز وجل؛ إذ امتد ذلك في الآيات الكريمة من الآية التاسعة والستين حتى الآية الثالثة والثمانين، ثم تلتها النتيجة الخاصة بذلك الخصام؛ إذ يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[1].

أما فيما يتصل بترتيب الخطاب في هذه السورة الكريمة فقد جاء معجزًا مبهرًا؛ إذ لحظ الباحثان ارتداد أول النص القرآني على آخره، ليمثل عقدًا نضيدًا يتصل أوله بآخره اتصالا محكمًا، مما يحقق انسجامه الدلالي تحقيقا بينا، كما يلي:

رقم الآية	الآية في النصف الأول من السورة	رقم الآية	الآيات في الجزء النصف الثاني من السورة والمتصلة بآيات النصف الأول	الانسجام الدلالي
١	صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ	٧٨	إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ	خصوصية القرآن بالذكر والموعظة وسرد أحوال من سبق ثم بيان عمومتيه وشموليته للبشرية كافة
٢	بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ	٤٧ / ٧٦ / ٨٢	إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ : عزة قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾: عزة قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ : شقاق	إجمال ثم تفصيل لقصة تكبّر إبليس وخصومته للخالق
٤	وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ	٦٥	قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ	تأكيد على وظيفة الأنبياء وأنها إبلاغ دعوة الله
٩	أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ	٥٤	إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ	خزائن الله مليئة ولا تنفد

١- القرآن الكريم، سورة ص، ٧٥-٧٨.

١٤	إن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ	٥٥–٥٨	هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾	تفصيل العقوبة الأخروية
١٧–٤٨	ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ..... وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ	٤٩–٥٠	هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾	تفصيل ثم إجمال لقصص الأنبياء وثوابهم في الآخرة

وهكذا يتشكل العقد القرآني تشكلاً يُبِينُ عن ترتيب آياته المعجزة، مما يؤكد انسجامه الدلالي والمعنوي في الحديث عن الصبر على خصام الكافرين، ويظهر جمالية هذا الترتيب الرباني المبهر.

المطلب الثالث: الانسجام الدلالي في سورة (ق):

إن التأمل في سورة (ق) يفتح للقارئ أفق التأويل على دلالات السورة، التي جاءت لتثبت القيامة والحياة بعد الموت، وهو ما أورده الخالق عزَّ وجلَّ في قوله على لسان الكافرين الذين أنكروا هذه القضية المحورية بقولهم: ﴿ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ ﴾[1]، فقد شكلت هذه القضية البؤرة الرئيسة التي انطلقت منها السورة؛ ولذلك جاء اسم السورة تحت اسم (ق)؛ إذ تتحدث السورة عن يو م القيامة،وإثبات الحياة بعد الموت، ولعل دلالة الاسم قد تعلّقت بأقوى حرف في كلمة القيامة وهو حرف القاف المتصف بالقلقلة والشدة، وهذا ما أشار إليه الزركشي بقوله: «وسر آخر وهو أن كل معاني هذه السورة مناسبة لما في حرف القاف من الشدة والجهر والانفتاح والعلوّ»[2]، وتبعًا لذلك يرى الباحثان أن دلالة

١- القرآن الكريم، سورة ق، ٣

٢- الزركشي، بدر الدين محمد: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة. د.ت، ١ / ١٦٩.

سورة (ق) تبعًا للحرف المقطّع المُفتتَح بها وتبعًا لاسمها تدل على يوم القيامة وإثباته، وقد استندا في ذلك على مبدأ الانسجام الدلالي المتعلق بمبدأ التغريض والبنية الكلية، كما وجدا أن البنى المنبثقة على البنية الكلية (يوم القيامة) والممتدة في السورة تدل على ما ذكراه، وهي كما يلي:

البنية الفرعية الصغرى	رقم الآيات	الآيات الكريمة
إنكار المشركين يوم القيامة (الحياة بعد الموت)	١-٥	قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ ..... بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾
أدلة مشاهدة محسوسة على وجود يوم القيامة (الحياة بعد الموت)	٦-١١	أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ .... رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾
ذكر الأقوام السابقة وتكذيبهم لوجود يوم القيامة (الحياة بعد الموت)، وذكر هلاكهم بسبب ذلك	١٢-١٤	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾
تفصيل نتيجة يوم القيامة السلبية على المنكرين والايجابية على المؤمنين	١٥-٣٥	أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ .... لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾
تكرار الحديث مرة أخرى حول إهلاك الأمم المنكرة ليوم القيامة	٣٦-٣٧	وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾
إظهار قدرة الله على الخلق والإبداع (قدرة على الإحياء بعد الإماتة والخلق من العدم)	٣٨	وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾
توجيه النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- في تعامله مع المنكرين ليوم القيامة	٣٩-٤٥	فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ .... نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

وهكذا يرى الباحثان أن كل البنى الصغرى التي تحدثت عنها السورة قد جاءت لتؤكد البنيةَ الكبرى للخطاب القرآني في هذه السورة، وهي إثبات يوم القيامة / وجود الحياة بعد الموت، ومما يؤكد هذه الرؤية أن الله عز وجل جعل الحديث التفصيلي عن مشهد يوم القيامة، ونتيجته يمتد في عشرين آية من الآية (١٥) حتى الآية (٣٥)، وهي تمثل قرابة نصف السورة المكونة من خمس وأربعين آية، كما أن الحديث التفصيلي لمشهد يوم القيامة قد انتصف السورة، أي أن هذه السورة تتمحور حول هذا الحدث العظيم.

وإمعانًا في تأكيد وجود يوم القيامة أورد الخالق عز وجل أحداثه بالزمن الماضي، مع أنه حدث مستقبلي لما يقع بعد، يقول الله تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴾[١]، فهذا الحدث مؤكد الحدوث حتى لكأنه صار لشدة التثبّت من تحققه ماضيا وذكرى.

أما فيما يتصل بمبدأ السياق، فالمرسل - كما هو معلوم - الخالق عز وجل، وأما المرسَل إليه فهو النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- وبقية البشر، أما الرسالة فقد لخصّها الله في ختام السورة، وهي تأكيد وجود الحياة بعد الموت، وبداية ذلك بيوم القيامة، يقول الله: ﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴾[٢]، ثم دعوة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- إلى تذكير المشركين بذلك، وتبليغهم دون أن يجهد نفسه ويجبرهم على القبول بها، يقول الله: ﴿ نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[٣].

١- القرآن الكريم، سورة ق، ٢٠-٢٢
٢- القرآن الكريم، سورة ق، ٤١-٤٢
٣- القرآن الكريم، سورة ق، ٤٥

أما الانسجام الدلالي فقد بدا جليًّا في ترتيب الخطاب، أو ما يمكن أن نطلق عليه زمن الخطاب، ويقصد به الباحثان هنا زمن الواقعة في النص، وبتتبع ترتيب أجزاء الخطاب القرآن في السورة، يستبين مدى الإعجاز الترتيبي لكل آيات سورة (ق)، فتعالق الآيات القرآنية ببعضها بعضا يكشف عن مدى القدرة الإلهية في تنظيم ترتيب الآيات، ومرة أخرى كما هي الحال في السور الثلاثة - يجد الباحثان أن ثمة تعالقًا بين الآيات القرآنية في النصف الأول من سورة (ق) مع الآيات القرآنية في النصف الثاني من السورة، حيث تتصل ببعضها بعضا برباط وثيق إما تأكيدًا، أو تفصيلا، أو إجمالا لبعض القضايا، ويتوسط السورة الحديث عن أهم مشهد فيها، وهو مشهد يو م القيامة الذي يشكل الحدث الأبرز، والبؤرة الرئيسة التي جاءت السورة لتؤكده، مشكلا بذلك أساسا مركزيا لهذه السورة، وبهذا التصنيف العجيب والترتيب المحكم يظهر الانسجام الدلالي للسورة كما يلي:

رقم الآية	الآيات في النصف الأول من السورة	رقم الآية	الآيات في النصف الثاني من السورة	الانسجام الدلالي
١-٢	﴿قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ١ بَلۡ عَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢	٤٥	فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ٤٥	تأكيد على ضرورة الاستمرار في الدعوة إلى الله رغم الإنكار بها
٢-٣	فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ ٢ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗاۖ ذَٰلِكَ رَجۡعُۢ بَعِيدٞ	٤٥	نَّحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَقُولُونَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ	التأكيد على وقوع يوم القيامة، ودعوة النبي إلى الدعوة إلى الله وحسب
٤	قَدۡ عَلِمۡنَا مَا تَنقُصُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۡهُمۡۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظُۢ ٤	١٨	مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨	بيان قدرة الخالق على محاسبة الخلق يوم القيامة

٦-٧	أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾	٣٨	وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾	الأدلة على قدرة الله على الخلق من العدم، وبيان أنه قادر على الإحياء بعد الإماتة يوم القيامة
٨	تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾	٤٠	وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾	التأمل في خلق الله يدعو للإيمان به وباليوم الآخر
١٢-١٣	كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾	٣٦	وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾	تفصيل لعقوبة المنكرين بالله واليوم الآخر ثم إجمال لها
١٥	أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾	٣٨	وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾	تأكيد على قدرة الله على الإحياء بعد الإماتة وبعث الناس يوم القيامة دونما تعب
٢٠	وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾	٤١-٤٢	وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾	تفصيل بدء مشهد يوم القيامة
٢١	وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾	٤٤	يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾	تفصيل بدء مشهد يوم القيامة

الآيات (٢٣-٣٥)

وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ..... لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

الحديث عن مشهد يوم القيامة

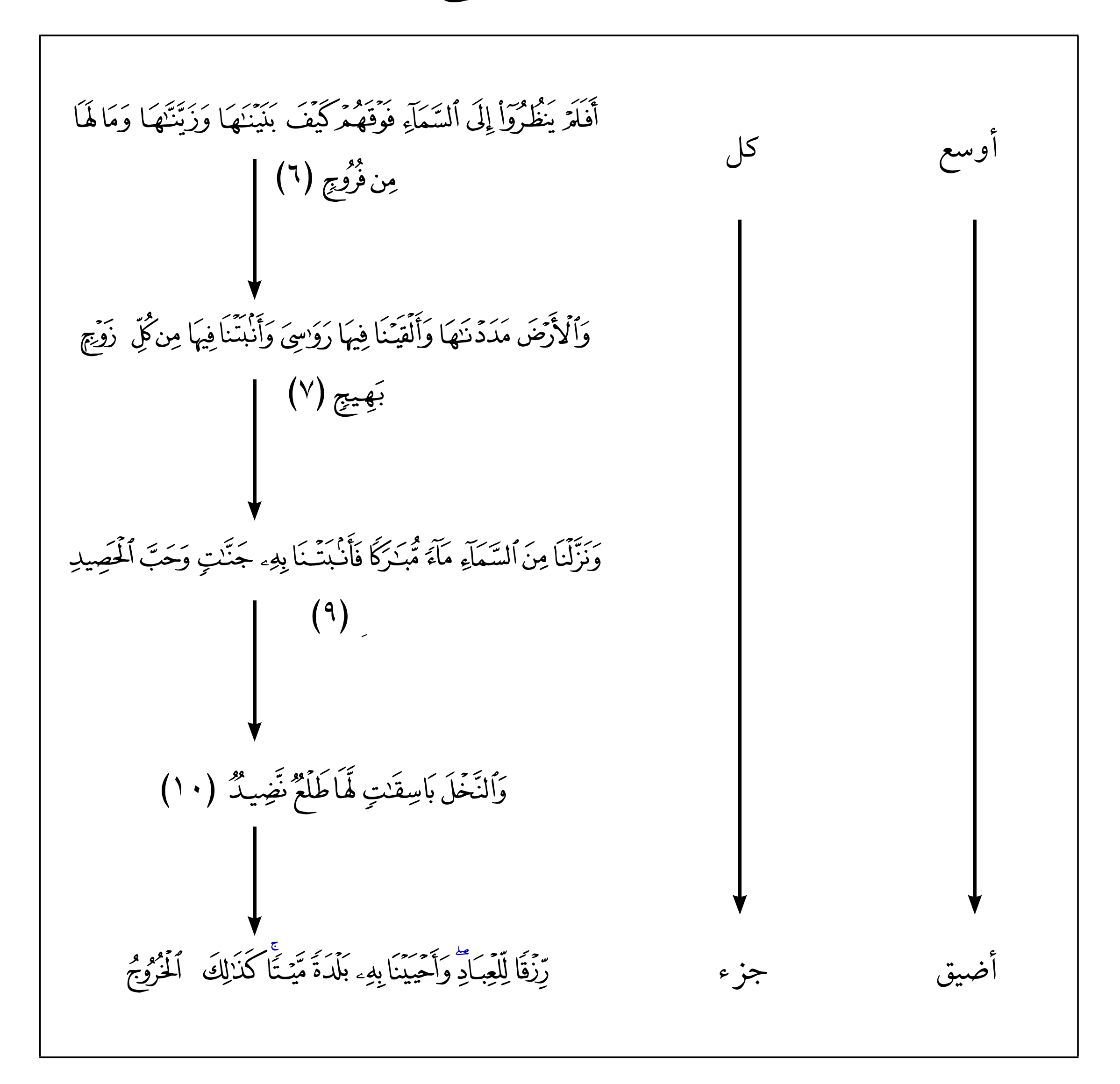
وهكذا نلحظ أن الآيات القرآنية في سورة (ق) تنتظم في سلك فريد يرتد أول آياته على آخرها، وفق تنظيم ترتيب عجيب، وتشكل الآيات التي تصور مشهد القيامة أوسط هذا السلك، مؤكدة على دقة التنظيم الرباني الذي شكّل الانسجام الدلالي لهذه السورة، كذلك بدا ارتباط الآيات ببعضها بعضًا في كثير من المواقع بين الآيات، ومن ذلك الإجمال، فالحق في قول الله في الآية الخامسة: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴾[1]، هو إجمال لما قبله من التفصيل، حيث يقصد الله به القرآن الكريم والرسول الكريم (المنذر)، وهو ما سبق الحديث عنه في الآية الأولى والثانية في قوله تعالى: ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴾[2].

كذلك بدا الانسجام الدلالي بين آيات السورة في الآيات القرآنية التي أوردها الله عز وجل دليلا حسيًّا ظاهريًّا على قدرته سبحانه على الإحياء والإماتة، ومن ذلك خلق السماوات والأرض والجبال، وإنزال المطر وإنبات النباتات، وخلق الجبال والنخل، حيث جاء الترتيب في ذلك انطلاقًا من الكل إلى الجزء في تنظيم دقيق، وترتيب مكاني متناسق داخل النص القرآني، كما يلي:

١- القرآن الكريم، سورة ق، ٥
٢- القرآن الكريم، سورة ق، ١-٢

قدرة الخالق على الإحياء بعد الإماتة ردا على قول المشركين:

«أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ»



وكل هذه المخلوقات من سماء وأرض ومياه ونباتات التي فُصِّلَ القول فيها، أجملها الله عزَّ وجل حينما أخبر عنها أنها خلقٌ أول، يقول الله في الآية التالية: ﴿ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾[1]، ويلحظ الباحثان تناسل النص القرآني وامتداد آياته الكريمة وتعالقها المحكم، فكل آياته ترتبط بما قبلها وما بعدها

١- القرآن الكريم، سورة ق، ١٥

بنظام محكم، ففي الآية المذكورة آنفا إجمال لـ (الخلق الجديد)، فما هو الخلق الجديد الذي ذكره الله عزَّ وجلَّ في هذه الآية؟ حتما هو إثبات وجود يوم القيامة والإحياء بعد الإماتة، وبعث الناس من قبورهم وإحياؤهم بعد أن كانوا موتى، وهو ما امتد الحديث فيه من الآية (٢٢) حتى الآية (٣٥) وهو مشهد يوم القيامة.

ومما يقوي دعائم هذه الفكرة وانسجام النص القرآني في سورة (ق) تكرار كثير من العبارات والتراكيب والمفردات المتعلقة بيوم القيامة، حيث أوردها الخالق بأسماء عدة، وأطلق عليه بعض التراكيب، وهي:

- رجع بعيد (آية ٣) ويوم الوعيد (آية ٢٠) ويوم الخروج (٤٢) والصيحة (آية ٤٢) وحشر (آية ٤٤).

وبهذا يصل الباحثان إلى تأكيد الفكرة التي ذكراها عن السورة من أن الحرف المقطّع (ق) ينسجم في دلالته على تأكيد يوم القيامة، فهذا الحرف الذي اُفتتحتْ به السورة الكريمة ما هو إلا اختزال لكلمة القيامة، وإثبات لوجودها، وذلك عبر استخدام حرف القاف الذي يمثّل الحرف الأقوى صوتًا ومخرجًا في مبنى كلمة (القيامة)، وقد أكّدت السورة ذلك في عنوانها وجميع بناها وترتيبها وتكرار آياتها والعلاقات الناظمة لها.

المطلب الرابع: الانسجام الدلالي في سورة القلم:

تعد سورة القلم من السور التي تعنى بأصول العقيدة والإيمان، وقد جاء الخطاب فيها منسجمًا في الحديث عن نبوة النبي الكريم محمد، وإثباتها وكشف الشُّبه المحيطة بها، وسيفصل الباحثان هذا الانسجام، ببيان مبادئه التي انتظمت السورة الكريمة، فموضوع الخطاب القرآني جاء مركزًا دلالاته على إثبات نبوة النبي الكريم محمد، الذي اُتهمَ بالجنون، كما في الآيات الأولى في قوله تعالى: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴾[1]، وقد وجد الباحثان أن البنى الصغرى قد جاءت دالة على إثبات نبوة الرسول محمد كما يلي:

الرقم	البنية الصغرى	الآيات الكريمة الدالة
١	نفي الفتن التي ألصقها المشركون بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلم- (الجنون / الأجر الممنون / الكذب / الفتنه / الضلال)	نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ ... إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ۝٧
٢	دعوة النبي محمد لعدم الإنصات للفتنة ومروجيها	فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٨ ..... سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ۝١٦
٣	قصة فتنة أصحاب الجنة (البستان) الذي دمّره الله	إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ۝١٧ .... كَذَٰلِكَ ٱلۡعَذَابُۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ۝٣٣
٤	مشهد تعذيب القائلين بالفتنة	إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٣٤ .... خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ۝٤٣
٥	وعيدٌ للقائلين بالفتنة	فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُم مِّنۡ حَيۡثُ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٤٤ ... أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ۝٤٧
٦	فتنة سيدنا يونس – عليه السلام- والتقام الحوت له	فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ۝٤٨ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ۝٤٩ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٥٠

١- القرآن الكريم، سورة القلم، ١-٢

٧	تكذيب فتن المشركين واتهامهم للنبي محمد بالجنون، وتأكيد أن ما جاء به قرآن كريم	وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

فهذه البنى الصغرى تؤكد أن البنية الكلية المشّكلة للخطاب القرآني هي بنية فضح فتن المشركين، التي اتهموا بها النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وهذا يدعو الباحث للتوقف عند سياق النص القرآني لتستبين معالم الانسجام الدلالي للخطاب القرآني في هذه السورة الكريمة، فالرسالة التي تحملها هذه السورة هي نفي، وإثبات، ونهي وأمر، فالنفي جاء في قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾[1]، فقد جاء في ذكر سبب نزول سورة القلم أن المشركين «كانوا يقولون للنبي- صلى الله عليه وسلم- أنه مجنون ثم شيطان، فنزلت ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾»[2]، أما الإثبات فقد جاء في قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾[3]، أما النهي فقد جاء للنبي محمد -صلى الله عليه وسلم- بعدم الإنصات لفتن المشركين وأراجيفهم، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾[4] كما اختتمت السورة بأمر النبي بالتزام الصبر، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾[5]، وبهذا فإن السورة تنسجم في دلالة رسالتها للنبي الكريم بالإعراض عن إنكار المشركين للنبوة، وعدم الإنصات لهم.

كذلك جاء ترتيب الخطاب وبيان علاقاته الناظمة له، مؤكدا الانسجام الدلالي للسورة، فقد وجد الباحثان انسجامًا دقيقًا في ترتيب خطاب هذه السورة الكريمة،

١- القرآن الكريم، سورة القلم، ٢
٢- السيوطي، جلال الدين: أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، د.ت، ٢٧٢.
٣- القرآن الكريم، سورة القلم، ٣-٤
٤- القرآن الكريم، سورة القلم، ٨-١٣
٥- القرآن الكريم، سورة القلم، ٤٨

فقد اتصلت الآيات الكريمة في أول السورة ومنتصفها بما بعدها من آيات كريمات، فكل مجموعة من الآيات قبل المنتصف ترتبط بدقة عجيبة بالآيات الموجودة بعد المنتصف، مما يؤكد انسجامها الدلالي، كما يلي:

رقم الآية	الآية الكريمة في النصف الأول من السورة	رقم الآية	الآية في النصف الثاني من السورة	الانسجام الدلالي
١-٢	نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾	٥١	وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾	تأكيد نفي الفتن والتهم التي ألصقها المشركون بالنبي الكريم محمد
٣-٤	وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾	٥٠	فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾	تخصيص النبي محمد بالتكريم من الله، فالله اجتبى النبي يونس الذي خرج مغاضبا دون استئذانه في ذلك، فكيف بك يا محمد؟ (تأكيد تكريم النبي محمد بذكر الأدلة على ذلك من قصص الأنبياء السابقين)
٥-٧	(قصة النبي محمد مع فتنة المشركين): «فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿٧﴾»	٤٨-٥٠	(قصة فتنة النبي يونس عليه السلام) فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾	توجيه النبي الكريم محمد في التعامل مع فتن الكافرين
٨	فَلَا تُطِعِ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾	٤٤	فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ	دعوة النبي محمد لعدم الإنصات لفتن الكافرين
٩	وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾	٥١	وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ	دعوة النبي محمد لعدم الإنصات لفتن الكافرين

١٠	وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾	٣٩	أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾	دعوة النبي محمد لعدم الإنصات لفتن الكافرين وأكاذيبهم
١١	وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾	٣٩	أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾	دعوة النبي محمد لعدم الإنصات لفتن الكافرين وأيمانهم الكاذبة، فالله سيفضح كذبها يوم القيامة
١٢	مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾	٢٢-٢٣	فَٱنطَلَقُواْ وَهُمۡ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدۡخُلَنَّهَا ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكُم مِّسۡكِينٞ ﴿٢٤﴾	دعوة النبي محمد لعدم الإنصات لفتن الكافرين في منع الخير، وبيان نتيجة منع الخير كما حلّ بأهل البستان
١٥	تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾	٤٧	أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾	الرد على فتن الكافرين المنكرين لوجود الخالق وللغيب الإلهي
١٦	سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ﴿١٦﴾	٤٢-٤٣	يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾	بيان عقوبة المروجين لفتن الكفر والضلال يوم القيامة
١٧-٣٢	(قصة أصحاب الجنة المدمرة) إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾ ..... عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبۡدِلَنَا خَيۡرٗا مِّنۡهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾	٣٤-٤٣	(قصة تحوّل الكافرين إلى النار في الدار الآخرة بسبب جحودهم للنعم) أَفَنَجۡعَلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ .... خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾	بيان عقوبة القائلين بالفتنة في الدنيا والآخرة

وتظهر علاقة الإجمال بالتفصيل لتزيد من انسجام النص القرآني، وارتباط دلالاته المركوزة فيه، ويقف الباحثان عند الآيات الأُوَل وهي قول الله تعالى: ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴿٤﴾ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[1] فهذه الآيات الكريمة تكاد تكون البؤرة الرئيسة لما يتضمنه النص القرآني من دلالات خفية، فقد جاء الخطاب القرآني مدافعًا عن نبوة النبي الكريم محمد، ورادًّا على كثير من الشبهات التي ألصقها المشركون به، وهي أنه: (مجنون ولا أجر له وفاسد الخلق و ضال) - حاشا لرسولنا الكريم ذاك- فالرسالة السماوية من الخالق للنبي الكريم أنه ليس بجاحد نِعَمَ الله عليه، وأجره غير ممنون به، وأن خلقه عظيم، فقد فصّل الله تعالى الحديث عن هذه الأفكار الثلاثة في الآيات التي أوردها بعدها، مثبتًا انتسابها للنبي الكريم محمد - صلى الله عليه وسلم- وانتفاءها عمن ورد ذكرهم في الآيات، وذلك حينما تحدث عن النعمة، فقد أثبت شكر النبي محمد لنعم الله عليه، وفصّل الحديث عن جحودها من المشركين، كما جاء أيضًا تفصيل ذلك في الآيات التي تحدثت عن قصة أهل الجنة الجاحدين لنعمة الله عليهم: ﴿ إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴾[2] فقد ذُكِر أن هذه الجنة / البستان العظيم كانت مشتهرة بين الناس، وكان صاحبها رجلاً كريمًا، ينادي الفقراء وقت نضج الثمر ليأخذوا من خيرات هذا البستان، مما أخطأ المنجل، أو ألقته الريح أو بَعُدَ عن البساط الذي تحت النخل، فلما توفي شح أبناؤه، وبخلوا على الفقراء بذلك الخير، وحلفوا أن لا يدخل البستان فقير قبل أن ينتهوا من حصاد الموسم كله، وفراغهم منه[3] ولذلك جازاهم الله لجحودهم بالنعمة، ومنعها عن المحتاجين

١- القرآن الكريم، سورة القلم، ٢-٧

٢- القرآن الكريم، سورة القلم، ١٧

٣- انظر خبر القصة في كتاب: البقاعي، برهان الدين أبو الحسن: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٤، ٢٠ / ٣٠٨.

﴿ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴾[1] أن دمر الله هذه الجنة ﴿ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴾[2] أي كالأرض المحصود زرعها لا خير فيها.

أما الأجر فأجر النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- في الدعوة إلى الله غير ممنون، وقد طلب الله منه أن يدعو الناس دون استعجال هدايتهم، فما عليه إلا البلاغ، أما الهداية فالله أعلم بها ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[3]، وهذا ما غفل عنه سيدنا يونس عليه السلام حينما خرج مغاضبًا - منكرًا عدم إيمان قومه به- دون استئذان من الخالق عز وجل، ولذلك مَنَّ الله عليه بالأجر والمغفرة ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[4]، فقد أمر الله النبي محمد ألا يكون كيونس عليه السلام في استعجال نتائج الدعوة، لكي لا يضيع الأجر، وهذا ما حلّ بالنبي يونس عليه السلام، فقد كان مكظومًا، ولولا رحمة الله به لأصبح مذموما، ولكن الله منَّ عليه وغفر له.

أما قضية الخُلُق فقد أثبت الله عزَّ وجلَّ الخلق العظيم للنبي الكريم محمد- صلى الله عليه وسلم- ونفاها عن المشركين، حيث كشف عن أخلاقهم الدنيئة، والتي تمثلت بالكذب والنفاق والخلق الكاذب والنميمة ومنع الخير، والوقوع في الفاحشة والزنا، وهو ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾[5].

١- القرآن الكريم، سورة القلم، ٢٤.
٢- القرآن الكريم، سورة القلم، ٢٠.
٣- القرآن الكريم، سورة القلم، ٧.
٤- القرآن الكريم، سورة القلم، ٤٨-٥٠.
٥- القرآن الكريم، سورة القلم، ٨-١٣.

ومن متعلقات ترتيب الخطابِ زمنُ الخطاب، ويقصد بها الباحثان هنا زمن الواقعة في النص، وزمن الواقعة مقارنة بزمن النص.

ترتيب زمن الواقعة في النص
بداية النص ←———— نهاية النص
إثبات نبوة الرسول والرد على الشبهات الوعيد لمن أنكر النبوة

فقد جاء الترتيب الزمني للوقائع في السورة بما يخدم البنية الكلية للخطاب القرآني، والتي تشكل المحور الرئيس للخطاب، وهي فكرة فضح شبهات النبوة التي يبتغي المشركون إلحاقها بالنبي محمد – صلى الله عليه وسلم– وهذا ما أكده ترتيب زمن الواقعة مقارنة بزمن النص، فقد جاء زمن النص وقف أزمان ثلاثة، هي:

- المضارع: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ﴾[1]، فالحقيقة المعاشة التي يريد الخالق تسليط الضوء عليها هي أنه يعلم من الضالّ، ويريد من النبي الكريم محمد الحذر منه.

- الماضي: جاء تسلية ومواساة للنبي محمد ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[2].

- الأمر: جاء في نهاية السورة، وهو أمر النبي بالصبر على الفتنة، وعدم تكليف نفسه ما لا يطيق، إذ إن مهمته تتمحور حول الدعوة، وليس عليه أن يؤمن الناس به، وهذا ما وقع فيه النبي يونس عليه السلام.

١- القرآن الكريم، سورة القلم، ٥-٦
٢- القرآن الكريم، سورة القلم، ١٧

آخر مبادئ الانسجام الدلالي في هذه السورة هو التكرار، فقد جاء التكرار ليبين عن مغزى السورة الأساسي وهو إثبات النبوة وقد جاء بتكرار أدوات الكتابة ومستلزماتها، فقد تكرر ذكر أدوات الكتابة وأفعالها كما يلي: (القلم - يسطرون- تدرسون- تتلى- يكتبون).

أما تكرار ألفاظ شبهة النبوة فقد جاءت بذكر الهلاك والوعيد عمن قال بها، فقد جاءت كما يلي: (المفتنون- ضلّ- تُدهن- يدهنون- بلوناهم- ضالون- محرومون- ظالمين- يا ويلتنا- كيدي - مكظوم - مذموم- يزلقونك).

الخاتمة

لا تكتسي أهمية هذه الدراسة في إثبات انسجام الخطاب في القرآن الكريم أو نفيه عنه؛ ذلك أنّ فرادة أسلوبه أعجز أصحاب الفصاحة والبلاغة بالإتيان بمثله، وإنما البحث في دلالات الانسجام التي تتوسلُ ببعض مبادئ الانسجام الدلالي المتحققة في السور المفتتحة بحرف مقطّع واحد، سورة «ص»، وسورة «ق»، وسورة «القلم»، بغية الكشف عن الدلالات المتسترة خلف تلك المقاطع ؛ ذلك أن هذه السور ترتكز على الحروف المقطعة في دلالتها العامة والتفصيلية؛ إذ تشكل الحروف المقطعة انسجامًا دلاليًّا عميقا مع مضمون الآيات في السور.

ونظرًا لكون الانسجام أعمّ وأشمل من الاتساق؛ فقد اتكأ الباحثان على بعض من مبادئ الانسجام المتعارف عليها عند الباحثين والنقاد، والتي من شأنها أن تصل بالمتلقي إلى غاية مفادها «انسجام الخطاب» وهي: مبدأ السياق، ومبدأ التغريض، ومبدأ والتأويل، ومبدأ ترتيب الخطاب وأزمنته، وآخرها مبدأ التكرار، ثم تطبيق هذه المبادئ على السور المختارة من القرآن الكريم المفتتحة بحرف مقطّع واحد.

ولقد توصل الباحثان من خلال تطبيق المبادئ السابقة على السور المختارة إلى جملة من النتائج، والتي تعكس مدى الانسجام الدلالي الناجم عن مضمون الآيات الكريمة وعلاقتها بالحرف المقّطع في بداية السورة، جاءت على النحو الآتي:

- ثمة انسجام عجيب في دلالة الحروف المقطّعة المفتتحة لتلك السور على ما فيها من معاني ودلالات خفية.
- ظهر الانسجام الدلالي في السور المفتتحة بحرف مقطّع واحد ظهرت من

خلال مبدأ السياق والتغريض والتأويل المحلي وترتيب الخطاب والتكرار.

- المعنى الذي يدل عليه الحرف المقطع (ص) الذي اُفتُتِحَتْ به سورة ص هو على الصبر على الخصومة، وحرف (ص) هو أحد أهم حروف كلمة الصبر ومن أقواها.
- المعنى الذي يدل عليه الحرف المقطع (ق) الذي اُفتتِحَتْ به سورة قاف هو إثبات يوم القيامة، وحرف (ق) هو أقوى حروف كلمة القيامة صوتا.
- المعنى الذي يدل عليه الحرف المقطع (ن) الذي اُفتتحت به سورة القلم هو نبوة النبي محمد، وحرف النون أحد أهم حروف كلمة النبوة.

وأخيرًا، يمكن القول: إنّ البحث في أسرار القرآن الكريم معين لا ينضب، سيظل الباحثون يشقون غماره للكشف عن أسراره، ولّما يتحققْ ذلك؛ فهو الكتاب الذي أُحكمت آياته، والذي آمن به الراسخون في العلم.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الأخفش الأوسط، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي، معاني القرآن، تحقيق د. فائز مسعد، دار البشير، ط٣، ١٩٨١.
- الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب: إعجاز القرآن، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط٤.
- بحيري، سعيد حسن: علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ١٩٩٧.
- براون ويول: تحليل الخطاب، ترجمة محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية،١٩٩٧.
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٩٨٤.
- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تعليق محمود محمد شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.
- حمداوي، جميل: السيميوطيقا والعنونة، عالم المعرفة، الكويت، المجلد ٢٥، العدد ٣، ١٩٩٧، ٧٩- ١١٢.
- أبو حيان، محمد بن يوسف: البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٩٩٢.
- خطابي، محمد: لسانيات النص (مدخل إلى انسجام الخطاب)، المركز الثقافي العربي، بيروت،١٩٩١.
- ديك، فان: النص والسياق، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، المغرب، ٢٠٠٠.
- الرازي، محمد الرازي فخر الدين، تفسير الفخر الرازي، المشتهر بالتفسير الكبير، ومفاتيح الغيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥.
- الرازي، فخر الدين: مفاتيح الغيب، دار الغد العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩١.

- الرومي، فهد: وجوه التحدي والاعجاز في الأحرف المقطعة في أوائل السور، مكتبة التوبة، الرياض، ط١، ١٩٩٧.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٨.
- الزركشي، بدر الدين محمد: البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة. د.ت.
- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمد بن عمر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، اعتنى به خليل محمود شيحة، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩.
- زناد، الأزهر: نسيج النص (بحث فيما يكون به الملفوظ نصا)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣.
- السيوطي، جلال الدين: أسباب النزول المسمى لباب النقول في أسباب النزول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، د.ت.
- السيوطي، الحافظ جلال الدين: تناسق الدرر في تناسب السور، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦، ط١.
- الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١، ٢٠٠١.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٩٧٨.
- عبابنة، يحيى والزعبي، آمنة: عناصر الاتساق والانسجام النصي قراءة نصية تحليلية في قصيدة «أغنية لشهر أيار» لأحمد عبد المعطي حجازي، مجلة جامعة دمشق، جامعة دمشق، مجلد ٢٩، عدد ١+٢، ٢٠١٣، ٥٠٧- ٥٤٩.
- العبد، محمد: حبك النص منظورات من التراث الغربي، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد ٥٩، ٢٠٠٢، ٥٤- ٩٦.

- أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي: مجاز القرآن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨١.
- العوتبي، سلمة بن مسلم: كتاب الإبانة في اللغة العربية، تحقيق عبد الكريم خليفة ونصرت عبد الرحمن وصلاح جرار ومحمد عواد وجاسر أبو صفية، مطابع مؤسسة عمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان، عمان، ط١، ١٩٩٩.
- فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٩٢.
- الفقي، صبحي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٠.
- ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم: تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط٣، ١٩٧١.
- قواوة، الطيب العزالي: الانسجام النصي وأدواته، مجلة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد ٨، ٢٠١٢، ٦١– ٨٦.
- المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد: المقتضب، تحقيق محمد عضيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٤.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٢٢.

References:

- The Holy Quran.
- Ababneh, Yahya and Al-Zoubi, Amna: Elements of Consistency and Textual Harmony An Analytical Text Reading in the "Song of the of May" by Ahmed Abdel-Moaty Hegazy, Damascus University Journal, Damascus University, Volume 29, Number 1 + 2, 2013, 507-549.
- El-Abed, Mohamed: Harmony of the Text Perspectives from Western Heritage, Fasoul Magazine, The Egyptian General Book Organization, Issue 59, 2002, 54-96.
- Al-Akhfas Al-Wasat, Abu Al-Hassan Saeed bin Musaada Al-Majsha'i: The Meaning of the Qur'an, Achieved by Dr. Fayez Musaad Al-Bashir, 3rd Edition, 1981.
- Al-Awtibi, Salamah Bin Muslim: The Book of Ebana in the Arabic Language, Achievement by Abdul Karim Khalifa, Nasrat Abd al-Rahman, Salah Jarrar, Muhammad Awad, and Jassir Abu Safiya, Amman Foundation Press, News, Publishing, and Advertising, Amman, 1st edition, 1999.
- Al-Baqalani, Abu Bakr Muhammad ibn al-Tayyib: Ea'jaz Al Qur'an, Achieved by Sheikh Imad al-Din Ahmad Haydar, Foundations of Cultural Books, Beirut, 4th edition.
- Beheiry, Saeed Hassan: Textual Linguistics Concepts and Trends, Egyptian International Publishing Company, Longman, 1997.
- Al-Beqai, Burhanuddin Abu Al-Hassan: Nazm Al-Durar fi dlaeal al ayat wassowar, Islamic Book House, Cairo, 1984.
- Dick, Van: Text and Context, translated by Abdul Qadir Qannini, East Africa, Morocco, 2000.
- Fadl, Salah: eloquence of the discourse and Text science, the world of knowledge, the National Council for Culture, Arts and Letters, Kuwait 1992.
- Al-Fiqi, Subhi: Textual linguistics between theory and practice, Dar Qabaa for printing, publishing and distribution, Cairo, 1st edition, 2000.
- Gillian Brown and George Yule. Discourse Analysis. Translated by: Muhammad Lutfi Al-Zelaiti and Munir Al-Triki, Scientific Publishing and Press, King Saud University, Saudi Arabia, 1997.

- Hamdaoui, Jamil: Semiotics of title, The World of Knowledge, Kuwait, Volume 25, No. 3, 1997, 79-112.
- Abu Hayyan, Muhammad ibn Yusuf:Al Baher Al mohet fittafsir, Dar al-Fikr, Beirut - Lebanon, 1992.
- Al-Jarjani, Abdel-Qaher: Dala'l Al'ajaz, Commentary by Mahmoud Mohamed Shaker, The Egyptian General Book Authority, Cairo, 2000.
- Khattabi, Muhammad: Linguistics of the Text (An Introduction to Harmony of Discourse), Arab Cultural Center, Beirut, 1991.
- Ibn Manzoor, Muhammad bin Makram: Lisan Al-Arab, Dar Sader Printing and Publishing, Beirut, 1st edition, 1922.
- Al-Mubarrad, Abu al-Abbas Muhammad ibn Yazid: Al-Muqtazib, Muhammad Adima Investigation, Supreme Council for Islamic Affairs, Cairo, 1994.
- Qawaweh, Al-Tayeb Al-Azali: Textual Harmony and Tools, Al-Mukabber Magazine, University of Biskra, Algeria, Issue 8, 2012, 61-86.
- Ibn Qutaiba, Abu Abdullah Muhammad bin Muslim: Ta'wel Moshkel Al Qur'an, Explanation of Sayyid Ahmad Saqr, Scientific Library, Medina, 3rd Edition, 1971.
- Al-Razi, Fakhr Al-Din: Tafsir Al Fakhr Al-Razi, Dar Al-Fikr, Beirut, 1995.
- Al-Razi, Fakhr Al-Din, Mafatih Alghayeb. Dar Al-Ghad Al-Arabi, Cairo, 1st Edition, 1991.
- Al-Roumi, Fahd: wojoh attahddy wale'jaz fil ahrof almoqatta'a wasowar, Al-Tawbah Library, Riyadh, 1st edition, 1997.
- Al-Suyuti, Jalal al-Din: Asbab Annzoul, The Cultural Books Foundation, Beirut, 1st edition.
- Al-Shawush, Muhammad: The Origins of Discourse Analysis in Arabic Grammar Theory, Arab Distribution Corporation, Tunis, 1st edition, 2001.
- Al-Suyuti, Al-Hafiz Jalal Al-Din: Tanasoq Addorar fi tanasob Al Sowar, investigation by Abdel-Qader Ahmed Atta, Dar Al-Kutub Al-Alami, Beirut, 1986, 1st edition.
- Al-Tabari, Abu Ja`far Muhammad ibn Jarir: Jame'a Al bayan fi tafsir Al Qur'an, Dar al-Maarifa, Beirut, 3rd edition, 1978.

- Abu Ubaidah, Muammar Bin Muthanna Al-Tayimi: Majaz Al-Qur'an, Al-Resala Foundation, Beirut, 1981.
- Al-Zakhmashri, Abu al-Qasim Jad Allah Mahmoud bin Omar: Al Kashaf. Achieved by: Khalil Mahmoud Shiha, Dar al-Maarifa, Beirut, 3rd edition, 2009.
- Al-Zarkashi, Badr Al-Din Muhammad: Al borhan fi a'lom Al Qur'an, Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim's investigation, Dar Al-Turath Library, Cairo.
- Al-Zarkani, Muhammad Abd al-Azim: Manahel al-Irfan fi A'lom Al Qur'an, Dar al-Kitab al-Ilmiyyat, Beirut - Lebanon, 1st edition, 1988.
- Azznad, Al-Azhar: The Texture of the Text (A Study of the Spoken Text), The Arab Cultural Center, Beirut, 1st edition, 1993.

Contents



UNITED ARAB EMIRATES - DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

AL WASL UNIVERSITY JOURNAL

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal

ISSUE NO. 61
Ramadan 1442H - May 2021CE

ISSN 1607- 209X

This Journal is listed in the **"Ulrich's International Periodicals Directory"**
under record No. 157016
e-mail: research@alwasl.ac.ae, awuj@alwasl.ac.ae



UNITED ARAB EMIRATES-DUBAI
AL WASL UNIVERSITY

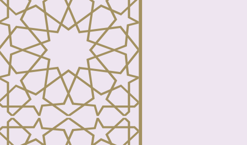
Al Wasl University Journal

Specialized in Humanities and Social Sciences

A Peer-Reviewed Journal - Biannual

(The 1st Issue published in 1410 H - 1990 C)

May - Ramadan
2021 CE / 1442 H



Issue No. 61

Email: research@alwasl.ac.ae
Website: www.alwasl.ac.ae